# الخطابُ الإسلاميُّ

لستُ مبالِغاً إذا قلتُ : إنّ الخطابَ الإسلاميَّ هو مِن أخطرِ القضايا في حياةِ المسلمين اليومَ ؛ ذلك أنّ شيوعَ الأميّةِ الدينيّةِ ، والغزوَ الثقافيَّ الهادفَ ، والأزماتِ الاقتصاديةَ الطاحنةَ ، واستعارَ الفتنِ الصارفةِ ، جعلتِ المسلمَ المعاصِرَ يبتعدُ عن ينابيعِ الإسلامِ الصافيةِ ، لضيقِ الوقتِ ، وكثرةِ العقباتِ والصوارفِ ، ولم يبقَ له مِن صلةٍ بحقائقِ الدِّينِ إلاّ الخطابُ الإسلاميُّ الذي يصِلُه مِن خلالِ خطبةِ الجمعةِ ، أو مِن خلالِ التدريسِ الدينيِّ ، أو مِن خلالِ وسائلِ الإعلامِ ، وهذه حالُ الخطِّ العريضِ في المجتمعِ الإسلاميِّ ، وهذا لا ينفي وجودَ قلّةٍ قليلةٍ مِن الشبابِ طلبتِ العلمَ مِن ينابيعِه الأصيلةِ ، ولم تتأثّرْ بالخللِ في الخطابِ الدينيِّ .

وبناءً على هذه المعطياتِ يتّضِحُ أنّ العالَمَ الإسلاميَّ في أمسِّ الحاجة إلى خطابٍ دينيٍّ ينطلقُ مِن حقائقِ الدِّينِ النّاصعةِ المأخوذةِ من مُحْكَمِ الكتابِ ، والسُّنّةِ الثابتةِ ، بالفهمِ الصحيحِ ، وبمعرفةِ مقاصدِ الإسلامِ الكبرى ، وهذا يُشارُ به إلى الانعتاقِ مِن سلطةِ النفسِ ، ومحدوديةِ التفكيرِ ، والوعيِ بأصولِ الدّعوةِ ، وطرائقِ معالجةِ الأوضاعِ المتردِّيةِ ، ومراعاةِ السننِ الشرعيةِ والكونيةِ في منهجِ التغييرِ والإصلاحِ .

من المهمِّ كثيراً أنْ ندركَ الإمكانَ الشرعيَّ والواقعيَّ الذي نعيش فيه ، ونعملَ على إيجادِ تطبيقٍ للمعاني الإسلاميةِ في هذه المجتمعاتِ ، ولا سيّما التي يُمارَسُ ضدّها تغييبٌ جادٌّ لطمسِ هويتِها .

لقد كان النجاشيُّ في الحبشةِ ملكاً صالحاً مؤمناً ، صلّى عليه رسول الله ﷺ بعد وفاتِه ، وأثنى عليه خيراً ، مع أنه لم يكن يحكمُ بالقرآنِ ، ولا يقيمُ كثيراً من شعائرِ الإسلامِ ، فهذا مبْلغُه من الإمكانِ .

من المهمِّ أنْ يتخلَّصَ بعضُ دعاةِ الإسلامِ من هيمنةِ التشاؤمِ على منهجِهم ولغتِهم وتعاملِهم مع عوامِّ وسوادِ المسلمين ، إنه حينما يكون الداعيةُ وطالبُ العلمِ مدركاً أنه لا يستعملُ الأوراقَ الأخيرةَ والنَفَسَ النهائيَّ في محاولاتِ الإصلاحِ والدعوةِ فهو ـ هنا ـ يتخلَّصُ من كثيرٍ من الأخطاءِ .

من الحكمةِ الشرعيةِ أنْ يتخلّصَ الخطابُ الإسلاميُّ من التعاملِ بلغةٍ واحدةٍ ، حيث تجدُ بعضَ أهلِ الدعوةِ والعلمِ جَمَعَ أزِمَّةَ الأمّةِ في الواقعِ السياسيّ التي تعيشُه ، فتراه لا يمارسُ إلاّ هذه اللغةَ ! ! وتجد نمطاً آخرَ من الخطابِ الإسلاميِّ لا يخاطِبُ إلاّ أهلَ الصلاحِ والبرّ والتقوى ، يؤدِّيهم بالفضائلِ ، وربما يكونُ هذا الخطابُ أداةً لفصلِ المجتمعِ الإسلاميِّ إلى طبقاتٍ تعيش العزلةَ والصراعَ الشعوريَّ .

وهنا يُفترَضُ أنْ يكونَ دعاةُ الإسلامِ أكثرَ تأصيلاً وواقعيةً ، فإنّ تقديرَ دائرةِ ما يقبلُ الاجتهادَ ، وما لا يسعُ فيه الخلافُ ، وأمثال ذلك مِن أكبرِ مقاصدِ الشريعةِ ، وأخصِّ مقاماتِ العلمِ ، فهذا يستلزمُ أنْ تُحكَمَ هذه

القضايا بالأدلّةِ الشرعيّةِ من الكتابِ والسنّةِ والإجماعِ .

إنّ علماءَ الإسلامِ الكبارَ ودعاتِه يُعرَفُ لهم قدرُهم وفضيلتُهم ، لكن لا بد أن نعلمَ أنّ خيرَ الهدي هديُ رسول الله ﷺ ، والدِّينُ هو ما شَرَعه اللهُ ورسولُه ﷺ ، فأنْ نعرِفَ لأحدٍ حقَّه لا يعني أنّ كلامَه لا يَقبلُ النظرَ والمراجعةَ ، والخطأَ والتركَ ، والردَّ إلى سنّةٍ ظهرتْ ، وحقٌّ بانَ بالدليلِ ، وما زال علماءُ الإسلامِ يتراجعون ويختلفون ، بل هذا هو الواجبُ على أهلِ العلمِ ورجالِ الدعوةِ .

ليكنْ همُّ كلِّ واحدٍ في هذه الأمّةِ أنْ يبلِّغَ عن اللهِ ، ورسولِه ، ولو آيةً أو حديثاً ، وألاّ يمتلكَه الحزنُ الذي يُقعِدُ عن العملِ لدينِ اللهِ ، وألاّ يتّخذَ طريقًا ليست مشروعةً في التعاملِ ، وألاّ يشعرَ بعدمِ القدرةِ والإحباط ، فيميلَ إلى الصفائية والمثاليّةِ والانتقاءِ ، فيجد نفسَه أخيراً مراجِعاً لإخوانِه الدعاةِ ، ثم قائماً عليهم حكَماً على أقوالِهم وأعمالِهم ، يحسبُ عليهم أنفاسَهم ، وهنا ربّما خالَطه شعورٌ أنّ هذه هي الأصالةُ والديانةُ .

* * *